

البيان في أضرار الدخان



الشيخ عبدالله بن صالح القصير

البيان في أضرار الدخان

تأليف الفقير إلى عفو ربه القدير
فضيلة الشيخ
عبد الله بن صالح القصير

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية: 1432هـ - 2011م

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه، وبعد:

فإنَّ مما يؤسَفُ له ما نلاحظه هذه الأيام من انتشار ظاهرة التدخين بشكلٍ لافتٍ للنظر، ومُنذر بالخطر، خصوصاً في صفوف الشباب والمثقفين، ومما يزيد الدهشة، ويضاعف الحسرة أن ترى جمعاً غفيراً ممن أُنيطت بهم مسؤولية تربية الشباب وتوجيه العامة - كالمدرسين والأطباء ورؤساء الدوائر والمؤسسات - نراهم يمارسون هذه الظاهرة القبيحة الضارّة على مرأى من طلابهم ومراجعهم، وربّما أمام أولادهم وذويهم، وقد صحَّح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: «كلُّ أُمّتي معافى إلا المجاهرين»، وقال صلى الله عليه وسلم: «ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»؛ رواه مسلم.

تظهر هذه الظاهرة السيئة في نفس الوقت الذي تتوالى فيه النشرات، وتتعاقب فيه التقارير الطيّبة العالمية المتخصصة، مُحذرة الناس من التدخين ببيان أضراره العديدة، وعواقبه الوخيمة، مقرونة بالإحصائيات الدقيقة عن ضحاياه في كلِّ عام، والاكتشافات الجديدة المشخّصة للأمراض الخطيرة - بل والمستعصية - الناتجة عنه، ومُطالبه للجهات المسؤولة في أنحاء العالم ببذل الجهود الجبّارة لمحاربتَه - مع غيره من المخدرات - بكل وسيلة؛ لتقي شعوبها من شرّه، وتحول بينها وبين مخاطره.

لذا رأيتُ أن أكتبَ لإخواني المسلمين نصيحةً تعالج هذه الظاهرة؛ ببيان أصل هذه المادة وأضرارها، ومن وراء ترويجها، وحُكمها الشرعي، وإلى غير ذلك مما يستدعيه المقام، وأسألُ الله تعالى أن يجعلها خالصةً لوجهه، وأن ينفعني بها وإخواني المسلمين؛ إنّه سميع قريبٌ مُجيب الدعوات.

مادة الدخان

التدخين: هو عملية جَلْب مادة الدُّخَان (التبغ) إلى الجسد، بواسطة السيجارة أو الغليون أو غيرها، بطريق المصِّ أو المضغِّ أو الاستنشاق.

والتبغ الذي يُصنع منه الدخان: هو نبات حشيشي مُخَدَّر، مُرُّ الطعم، من الفصيلة الباذنجانية السامة، ويحوي موادَّ سامة كثيرة، منها: النيكوتين، ومادة السينانور، وحامض الأيدروجين المكبرت، وحامض الكبريتيك، وكبريتات الرصاص، وأكسيد الكربون، وثاني أكسيد الكربون، ومواد سامة أخرى.

وأشهر تلك المواد ضَرَرًا، وأعظمها خطرًا: النيكوتين، الذي يقول عنه أحد الأطباء: إنَّ الكميَّة الموجودة منه في سيجارة واحدة كافية لقتل إنسان لو أُعْطِيَ له بواسطة إبرة في الوريد، ويُقال: إنَّه لو وُضِع من تلك المادة السامة - النيكوتين - نقطتان في فم كلب، مات في الحال، وخمس نقط منها تكفي لقتل جَمَلٍ.

ومما يزيد الطين بِلَّة أنَّ السجائر التي تُباع في البلاد النامية والمتخلِّفة تحتوي على أضعاف ما تحتويه مثيلاتها في أوروبا من السموم الناقعة.

يقول الدكتور كيث بال: إنَّ السجائر التي تُباع في البلاد النامية تحتوي على ضعف كميَّة القار (القطران) والنيكوتين الموجودة في مثيلاتها في أوروبا، والتي تُصدِّرها نفسُ الشركة وبذات الاسم؛ نتيجة للتساهل في الرقابة أو عدمها.

تاريخ معرفة نبات الدخان

ومن وراء ترويجه

يقال: إنَّ أول من جَلَب الدُّخَان إلى أوروبا: هو كولبس مُكْتَشَف أمريكا، وأنه أحضره معه من المكسيك إلى الأندلس، ثم انتشر بعد ذلك في سائر أنحاء أوروبا.

أمَّا عن كيفية دخول هذه المادة السامة القاتلة إلى البلاد الإسلامية، فيحدثنا عنه أحد علماء المسلمين، وهو أبو الحسن المصري الحنفي رحمه الله حيث يقول: وكان حدوثه في حدود الألف - أي: من الهجرة - وأوَّل خروجه بأرض اليهود والنصارى والمجوس، وأتى به رجلٌ يهودي يزعم أنه حكيم - طبيب - إلى أرض المغرب، ودعا الناس إليه، وأوَّل مَنْ جَلَبه إلى البرِّ الرومي - تركيا - رجلٌ اسمه: ألتكلين من النصارى، وأوَّل مَنْ أخرجَه ببلاد السودان المجوس، ثم جُلِب إلى مصر والحجاز وسائر الأقطار؛ ا. هـ.

فتبيَّن بذلك أنَّ وراء ترويجه وانتشاره والدعاية له عصابة المجرمين من اليهود والنصارى، شأنهم فيه كشأنهم في سائر المخدرات والخمور التي يتاجرون بها، ويفرضونها على الشعوب، فيسقون الناس سُمومها، ويشجعونهم على ذلك بدعاياتهم المختلفة، وأساليبهم المغرضة؛ يقول هنري فورد: ووراء الدعاية للمشروبات الروحية جماعة من اليهود.

قلت: هذا ما شهد به شاهدٌ من أهلها، ويكاد يُجمع مُكتشفو أسرار الماسونية، والمتحدثون عن بروتوكولاتها وخططها الجهنمية، أنَّ ترويج المخدرات هو واحدٌ من وسائلهم التي يحاولون بها الفتك بالمجتمعات الإنسانية وتحطيمها دينياً وأخلاقياً، وسياسياً واقتصادياً.

واعتقد أننا لو تتبعنا المصانع العالمية لهذه المادة الخبيثة وغيرها من المسكرات الخطيرة، لوجدناها لا تخرج عن ملك العائلات اليهودية الحاكمة أو أذنابها - ممن يُنفذون سياستها الجهنمية - من النصارى وغيرهم.

أضرار التدخين الصحية

أجمعت التقاريرُ الطبية المتعاقبة، والصادرة من جهات مختلفة، وفي أزمان متباعدة، والتي تعتمد على الاختبارات والتجارب؛ أنَّ تأثيرَ التدخين السيِّئ على الصحة يعتبر الآن أشدَّ من أخطار الطاعون والكوليرا، والجُدري والجُذام وغيرها؛ يقول تقرير الصحة العالميَّة الصادر 1975م:

إنَّ عددَ الذين يُلاقون حتْفهم، أو يعيشون عيشة تعيسة من جرَّاء التدخين، يفوقون - دون ريب - الذين يلاقون حتْفهم نتيجة الطاعون والكوليرا، والجُدري والسُّل، والجذام والتيفوس كلَّ عام، ويؤكد التقرير أنَّ الوَفَيَّات الناتجة عن التدخين هي أكثر بكثيرٍ من جميع الوَفَيَّات للأمراض الوبائيَّة مُجمِعةً.

ويقول تقرير كلية الأطباء الملكية البريطانية ما خلاصته ما يلي:

1- أنَّ 27500 بريطاني تتراوح أعمارهم بين 24 - 65 سنة يموتون سنويًّا نتيجة تدخين السجائر.

2- إذا استمرَّت الحال على ما هي عليه في بريطانيا، فإنَّ 155 ألف بريطاني يموتون سنويًّا بسرطان الرئة خلال الثمانينات.

3- أنَّ نسبة 90% من حالات الوفاة بسرطان الرئة تحدث نتيجة التدخين.

4- أنَّ مدخني السجائر أكثر عُرضة للوفاة في الأعمار المتوسطة بنسبة الضَّعف عن غير المدخنين.

5- أنَّ من الأسباب الرئيسة لحدوث الوفاة بين المدخنين الإصابة بسرطان الرئة، والتَّزَلَّات الشعبيَّة المزمنة، وتَفَتَّت الكبد والسُّل، وسرطان الفم والبلعوم والحنجرة، والمثانة والبنكرياس.

6- أنَّ تدخين سيجارة واحدة تقصم من عُمر المدخن خمس دقائق ونصفًا، وهو نفس الوقت الذي يقضيه المدخن عادة في تدخينها.

ويقول تقرير اللجنة الطبيَّة الاستشاريَّة الأمريكيَّة عن التدخين ومضاره الصحيَّة ما ملخصه:

1- أنَّ الوَفَيَّات الناجمة عن سرطان الفم في الولايات المتحدة في عام 1962م بلغت 6481 وفاة، منها: 4902 ذكور، و1561 إناث.

2- أنَّ نسبة وَفَيَّات مدخني السجائر لغير المدخنين مُرتفعة بصورة خاصَّة في أمراض معينة، وتبلغ هذه النسبة 4,1 في سرطان الفم.

3- أنَّ مُعدَّل الوَفَيَّات يرتفع بارتفاع عدد السجائر التي يُدخنها المرء يوميًّا.

4- أنَّ نسبة وَفَيَّات المدخنين إلى غير المدخنين تبلغ حدَّها الأقصى بين الأربعين والخمسين من العُمر.

التدخين وأمراض الرئة

من المعروف أنه عند مرور التدخين في الرئة تترسب المواد الضارة كاليكوتين على الأغشية الرئوية، وخاصة على المناطق التي تنقسم فيها الأنابيب الهوائية الكبيرة إلى صغيرة، وهي نفس المنطقة التي تبدأ فيها أغلبية السرطان الرئوي، ومن أشهر أمراض الرئة التي يسببها الدخان:

أ- **الأنفسيما:** وهو مرض يهدم تركيب الرئة، ويُفقد مرونيتها المطاطية، فيحتبس فيها الهواء، ويؤدي تدريجياً إلى صعوبة التنفس، ويقال: إن نسبة 99 % من المدخنين مصابون بمرض الأنفسيما.

ب- **السرطان:** وهو مرض خبيث ينتج عن نمو الخلايا بشكل خارج عن تحكّم الجسم، ويزداد الخطر من الإصابة بالسرطان كلما ازدادت مُدّة التدخين، أو عدد السجائر المدخنة يومياً، وقد أثبتَ الطبيبان (هاموند - ودانيال هورب) أن نسبة الإصابة بسرطان الرئة بين المدخنين تبلغ عشرة أضعاف غير المدخنين، ويُقال: إن نسبة 90% من المصابين بسرطان الرئة هم من المدخنين.

التدخين وأمراض القلب

يتركز تأثير النيكوتين على القلب والجهاز الدوري في التالي:

- 1- ازدياد ضربات القلب وزيادة عمل القلب.
 - 2- انقباض الشرايين عمومًا، بما فيها شرايين القلب.
 - 3- زيادة التصاق الصفائح المسؤولة عن الجلطات.
- وهكذا تجتمع الأسباب المؤدية - بعد إرادة الله - إلى جُلطة القلب، ولا يقتصر تأثير مادة النيكوتين على شرايين القلب، بل يؤثر على شرايين الجسم بأكمله، ولكن أهمها على الإطلاق شرايين القلب؛ لأن انسدادها من أسباب جلطة القلب وموت الفجأة، وإذا انسدت شرايين المخ، كان ذلك من أسباب شلل الجسم، أو لذلك الجزء من الجسم الذي تتحكم فيه المنطقة المخيية المصابة.
- أمّا إذا انسدت أحد شرايين الساق، كان ذلك من أسباب موت الساق، والذي قد يقتضي بترها إن لم تُتدارك بعملية جراحية سريعة؛ لتبديل الشريان أو ترقيعه، وهي عملية عسيرة؛ هذا ما يقوله الأطباء حول ذلك الموضوع، ولكل شيء قدر.

التدخين وأمراض الفم

يقول الدكتور سول سليفربأت - بكلية طب الأسنان بجامعة كاليفورنيا -: إنَّ زيادة عدد المدخنات بين النساء قد اقترَنَ بتزايد عدد الإصابة بسرطان الفم بينهنَّ، وقال: إنَّ الزيادة السريعة في الإصابة بسرطان الفم بين النساء لا يُمكن إرجاعها لسبب آخر غير التدخين.

وصرَّح أحدُ أعضاء جمعية أبحاث الأسنان الأمريكيَّة أنَّ ارتفاع الإصابة بسرطان الفم بين النساء في كاليفورنيا بلغ 100% خلال عشر سنوات، ويقول آخر: وأمَّا السيئُ بالنسبة للناحية الاجتماعية، فهو تلك الحالة الخاصَّة من بَخَرِ الفم التي يشعُرُ بها كلُّ مَنْ يقترب من المدخن، وتؤدي إلى النفور منه؛ وذلك لأنَّ الدُّخانَ يحتوي على مواد ذات أبخرة نفاذة، وهي تتسرَّب على سطوح الأسنان؛ لتشكِّل مصدراً دائماً لبَخَرِ الفم عند المدمنين على التدخين.

أضرار صحية أخرى للدخان

يقرر الدكتور كونج: إنَّ أضرَّ ما في التبغ السيجارة، وإنَّ التبغ يُسبِّب اضطراب الهضم وفُقدان الشهية وانحطاط القوى الجسمية، ويحدث التهابات في الزَّوَر والحنجرة، ويضر بالأوعية الدموية؛ حتى تُصاب بداءِ تَصَلُّب الشرايين.

ويضيف الدكتور خالد منيمنة - خبير منظمة الصحة العالمية -: أنَّ التبغ يُسمِّم الجسم كيفما كانت طريقة استعماله، ويُؤكِّد أنَّ التبغ مخدِّر للأعصاب، وأنَّ بعض الناس يعمد إلى التدخين كلَّما أحسَّ تعبًا أو ارتباكًا فكريًّا، فيشعر في الحال بالراحة، والحقيقة أنَّ ذلك لا يكون نتيجة تحسُّن فعلي في حاله، بل هو نتيجة فقد الإحساس بما هو فيه؛ لأنَّ التبغ أحدث في مُخِّه وأعصابه انتعاشًا خياليًّا، وتخيديرًا وقتيًّا صرفًا حينًا عن استشعار ألم العناء، ومَشَقَّة التعب، وعذاب القلق الذي لا يزال يُساوره رغم عدم شعوره به.

وقد أجرى الباحثون دراسات عديدة على المدخنين من رجال ونساء؛ لمعرفة أثر التدخين على الناحية الجنسية عند الطَّرفين، وقد تبَّين لهم من نتائجها أنَّ دُخان التبغ يُضعف المقدرة الجنسية عند الرجل، ويُخفِّف الرغبة الجنسية عند المرأة، وأنَّ التدخين يُخلُّ بوظيفة الغُدِّ التناسليَّة، ويُخفِّف من إنتاجها ويُضعفها، وربما يؤدي بعد سنين إلى الضَّعف الجنسي الكامل.

وهو من جهة أخرى يؤثر على أنوثة المرأة، فيخشن صوتها، ويزداد الشعر في جسمها، وتغلظُ حرركاتها، وتَفقد جزءًا كبيرًا من أنوثتها، كما تُصاب غالبًا باضطرابات في دورتها الشهرية، كما تترافق الدورة بآلامٍ شديدة، وفي بعض الأحيان يحدث لها نزيفٌ خطير، ويُسبِّب الدُّخان للمرأة الانقطاع عن الإنجاب في سنٍّ مبكرة.

ويقول تقرير الكلية الملكية للأطباء في بريطانيا: إنَّ خطورة التدخين لا يقتصر على المدخنين فقط، وإنما يتعدَّى ذلك إلى الأجنَّة في بطون أمهاتهن؛ فقد أثبت العلم أنَّ النساء المدخنات حَمَلُنَّ أصعب، وإجهاضهنَّ أيسر، وربما تُجْهض المرأة جنينها من جرَّاء تدخين سيجارة واحدة أحيانًا، حسب رأي الدكتور بوليا نسكي، كما تبَّين في جميع المستشفيات العالمية المخصَّصة لولادة النساء أنَّ الغالبية العظمى من الأولاد الذين يُولدون مُشوَّهين - كالقامة القصيرة والرأس الصغير وغير ذلك - هنَّ من أمَّهات مدخنات.

وتبيِّن الدراسات الطبيَّة أنَّ أولاد الأمَّهات المدخنات كانوا باستمرار عُرضة للإصابة بالأمراض أكثر من غيرهم، كما أنَّ تدخين أحد الوالدين عند أطفاله - خصوصًا الرضيع - يؤدي إلى إصابتهم بالزلات الشعبية المتكررة، والالتهابات الرئوية؛ نتيجة استنشاقهم الهواء الملبد بدُّخان السجائر، وهكذا تتعدَّى أضرار التدخين إلى كلِّ فردٍ في البيت؛ صغير أو كبير.

أضرار التدخين النفسية والعقلية

يقول الدكتور محمود فريد: إنَّ التسمُّم بالتبغ يُؤثِّر على التفكير والتذكُّر، ويُقلِّل النشاط، فلدخان التبغ أثرٌ بالغ على الجهاز العصبي؛ إذ يؤدي إلى خللٍ واضح فيه، ينتج عنه إصابة المدخن بالصداع والدُّوار، وضعف الذاكرة، ويؤدِّي أحياناً إلى عدم المقدرة على التوازن، فيغلب عليه المزاج العصبي والقلق والشرود، وحبُّ التسلُّط، وهبوط مستوى الذكاء.

وقد أجرى بعض العلماء الأمريكيين تجاربَ عديدة؛ لاختبار طلاب المدارس والجامعات من المدخنين وغيرهم، فتبيَّن لهم بشكلٍ واضح أنَّ المدخنين أقلُّ ذكاءً من سواهم، وثبتَ أنَّ ذاكرتهم أضعفُ من غيرهم، وكذلك بالنسبة للحفظ وقوة الملاحظة، كما ظهر أنَّ نشاطهم الذهني في مستوى أدنى من مستوى رفاقهم غير المدخنين، وثبتَ أنَّ التدخين يعوقُّ الدماغ عن القيام بواجباته على النحو المطلوب.

كما يُصاب بعض متعاطي التدخين بأوهام ووساوس وخواطر مُقلقة قد تؤدي بصاحبها إلى الجنون في بعض الأحيان، ولعلَّ ذلك يعود إلى أنَّ الدُّخان ينشِفُ دماغ مُتعاطيه؛ يقول الدكتور علي فكري في كتابه الأمراض الاجتماعية وعلاجها ما نصَّه: وقد نسب العلَّامة لوجران سببَ تزايد الأمراض العقلية في العالم إلى التبغ - الدخان - وقد جرَّب بعضُ الأطباء ذلك في المصابين بالأمراض المخيَّة الجنونيَّة من تعاطي التبغ، فتوصَّلوا إلى نتائج باهرة، ومن الناس مَنْ أُصيب بأوهام ووسواس حرَّمته لذَّة الراحة والطمأنينة، وكادت تُؤدِّي به إلى الجنون، فلمَّا تَرَكَ التدخين، شُفي بإذن الله تعالى.

أضرار التدخين من الناحية الاجتماعية

كما أنَّ التدخين يضرُّ بالمدخن من نواحٍ مختلفة، فهو كذلك يضرُّ بالأشخاص المحيطين بالمدخن؛ نتيجة استنشاقهم للهواء المختلط بدخان التبغ، فيصابون بالأمراض الناتجة من المواد السامة في الدخان، فالمدخن إذاً يتسبَّب في ضرر الآخرين وعرقلة صحتهم عن قصد أو غير قصد.

كما أنه يظهر لfum المدخن رائحة كريهة؛ لأنَّ مادة الدخان تحوي مواد ذات أبخرة نفاذة، تترسب على سطوح الأسنان؛ لتشكِّل مصدرًا دائمًا لبخار الفم عند التدخين، وهذه الرائحة الكريهة تجعل الناس ينفرون من الشخص المدخن؛ مما يترك في نفسه حسرة تُحطِّم شخصيته، وتتركه حائرًا لا يدري ماذا يفعل!

وأيضًا فإنَّ الشخص المدخن أمام أبنائه أو طلابه يكون قدوة سيئة؛ حيث يقلدونه في تلك العادة الخبيثة، ويكون هو السبب في ما يلحقهم من أضرار متنوعة، كما أنَّ التدخين بحضرة الرجال - وخصوصًا أهل الفضل والضيوف - مع العلم بضرره يعتبر مظهرًا مُخالفًا للمروعة والأدب، ويُنبئ عن احتقار الحاضرين، إلى غير ذلك مما لا يمكن عدُّه ولا حصْرُه.

أضرار التدخين الاقتصادية

تُنفق كثيرٌ من الدول آلاف الملايين من عُملتها النقدية ثمنًا للتبغ وتكاليف استيراده، كما تُنفق الملايين في علاج المصابين بأمراض مختلفة، فمثلاً في الولايات المتحدة الأمريكية يُنفق الشعب الأمريكي على التدخين ما قيمته ستين بليون دولار سنوياً.

ويقول تقرير الكلية الملكية للأطباء: إنَّ خمسين مليون يوم عمل تُضيع في كلِّ عام؛ نتيجة لتغيُّب العُمال بسبب الأمراض الناتجة عن التدخين.

وأنفقت دولة عربية إسلامية عام 1397هـ ما قيمته تقريباً 1215 مليون دولار، ولعلَّها تنفق مثل ذلك أو ضعفه في علاج المصابين بأمراضه في أجسامهم وعقولهم؛ نتيجة تعاويه وعلى أجهزة مكافحته بالوسائل المختلفة، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإنَّ التدخين يعتبر من العوامل الرئيسة المسببة للحرائق في البيوت والمستودعات، ومحطّات البترين وغيرها، وما ينتج عن ذلك من إزهاق أرواح، وجوائح مائيّة لا تدخل تحت الحصر.

وكذلك فإنَّ الفرد قد يُنفق على التدخين ما يُعادل ربع دخله الشهري ثمنًا للتدخين، ورُبَّما ينفق مثل ذلك أيضاً في علاج الأمراض الناشئة عنه، مع أنه رُبَّما يكون محدود الدخل، ويُنفق على أسرة كبيرة، أو يعاني ظروفاً اقتصادية شديدة؛ ممَّا يُسبِّب له تراكم الديون ومضاعفة المشكلات، وما يترتّب على ذلك من هموم ومصائب وغير ذلك، فليت شعري ما الفائدة المرجوة من هذه البضاعة الخبيثة؟! ومن الربح من وراء ذلك؟!

وكم تُنفق الشعوب الإسلامية سنوياً قيمة لهذه المادة المفسدة للدين والأخلاق، والصحة والاقتصاد؟ وماذا لو صُرِّفت في مشاريع خيرة تعود بالنفع العاجل والآجل على عموم المسلمين، اللهم خذ بنواصي الجميع إلى الحقِّ، واهداهم صراطك المستقيم يا أرحم الراحمين.

أضرار التدخين الخلقية

نتيجة لما يُحدثه الإدمان على التدخين من أمراض نفسية وجسدية، وخسارة مالية وغيرها دون فائدة، فإنّ متعاطيه يشعر بالقلق والاضطراب النفسي، وتراكم الهموم؛ ولذلك تجد غالب المدخنين عابس الوجه، مُقطب الجبين، ضيق الصدر والأفق، خصوصاً عندما يفقد هذه المادة ولو يسيراً؛ لذلك تجده يثور لأنفه الأسباب، فقد يُطلق زوجته، وقد يضرب ولده دون سبب يُذكر، ويُسيء معاملة جيرانه وأهله وإخوانه، ويُخرج موظفيه ومُراجعيه.

وبالجملة: تجد غالب هؤلاء سيئ الخلق، مُتقلب المزاج؛ كما أنّ هذه العادة الخبيثة تضطرّ صاحبها إلى مصاحبة السُّفهاء والأشرار، والبُعد عن الأخيار، ومجالس الذِّكر والعلم؛ لأنّها بغیضة لدى أهل العقول الصحيحة، والفطر السليمة، والأمزجة المستقيمة، فلا يألّفون صاحبها، ولا يرغبون في مُجالسته، كما تجد غالب مُتعاطي الدُّخان ثقلين في أداء الصلوات، مُقصرين في كثير من الواجبات والعبادات، بادية على وجوههم وتصرفاتهم آثارُ الفسق وسائر المعاصي، وكفى بذلك مُصيبة.

حكم شرب الدُّخَان

من المقاصد العامة للشريعة الإسلامية حفظُ الضروريات الخمس، وهي: الدين، والنفس، والعقل، والنَّسْل، والمال.

وقد تبَيَّن لنا مما مَضَى ضررُ التدخين البالغ في كل واحدة من هذه الضروريات؛ ولذلك صرَّح العلماء المحققون من المذاهب الأربعة وغيرهم بتحريمه:

أ- **فمن الحنفية:** الشيخ محمد العيني، وله رسالة في تحريمه، ومنهم الشيخ محمد الخواجة، وعيسى الشهاوي الحنفي، ومكي بن فروج، وعمر بن أحمد المصري الحنفي، فقد قال ما نصُّه: الآثار النقليَّة الصحيحة، والدلائل العقلية الصريحة، تُعلنُ بتحريم الدُّخَان... إلخ.

ب- **ومن المالكية:** كنون وأبو زيد عبدالرحمن الفاسي وغيرهم، قال الفاسي في حكم الدُّخَان: إن الذي ينبغي اعتماده، ويرجع إليه في صلاح الدين والدنيا، مع وجوب الإعلان والإعلام والإشادة في جميع بلاد الإسلام؛ أنَّ الدُّخَان المذكور حَرَام الاستعمال؛ لاعتراف كثيرين ممن له تمييز وتجربة بأنه يُحدث تفتير أو تخدير... إلخ.

ج- **الشافعية:** ومنهم ابن علان شارح رياض الصالحين، وله رسالتان في تحريم الدُّخَان، ومنهم الشيخ عبدالرحمن الغزي، وإبراهيم بن جمعان، وتلميذه أبو بكر الأهدل، وغيرهم، قال ابن علان في رسالته إعلام الإخوان بتحريم الدُّخَان: وقد اتَّفَق العلماء على حِفْظ العقول وصَوْنها من المفترتات والمخدرات، إلى قوله: لأنَّ كلَّ ما غيَّر العقل بوجهِ من الوجوه، أو أثَّر فيه بطريقة تناوله، فهو حرام.

د- **الحنابلة:** وقد اتَّفَق علماء الحنابلة على تحريمه - إلاَّ مَنْ شَذَّ مَنْ لا يُعْتَد به -، ومن صرَّح بتحريمه علماء الدعوة من أحفاد الشيخ محمد بن عبدالوهاب وتلامذتهم رَحِمَ الله الجميع، منهم:

1- الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، قال ما نصُّه: وبما ذكرنا من كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وكلام أهل العلم يتبيَّن لك تحريم التتن - أي: الدخان - الذي كثر في هذا الزمان استعماله، وصحَّ بالتواتر عندنا والمشاهدة إسكاره في بعض الأوقات، خصوصاً إذا أكثَرَ منه أو قام يوماً أو يومين لا يشربه، ثم شَرِب منه، فإنه يُسَكَّر ويُزيل العقل.

2- الشيخ عبدالله أبابطين، قال عن الدُّخَان: والذي نرى فيه التحريم لعلتين:

إحدهما: حصول الإسكار به إذا فقده شاربه مدَّة ثم شَرِبَه أو أكثَرَ منه، وإن لم يحصل إسكار، حصل تخديرٌ وتفتير.

الثانية: أنه مُنْتِن ومُسْتَحَبَّت عند مَنْ لَمْ يَعْتَد... إلخ.

3- الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، فقد قال: لا ريبَ في خبث الدُّخَان ونتنه، وإسكاره أحياناً

وتفتيره، وتحريمه بالنقل الصحيح والعقل الصريح، وكلام الأطباء المعتبرين.

علة تحريم الدُّخَان والأدلة عليه

يُجمع الدُّخَان أوصافاً عديدة مُستَحَبَّة، كل واحدة منها كافية للقطع بتحريمه؛ ولذلك أفتى العلماء المحققون في كل عصر ومصر بتحريمه - منهم مَنْ سَبَقَت الإشارة إليهم -، وهذه الأوصاف هي:

أنَّه خبيثٌ معدود من الخبائث عند ذوي الطباع السليمة، ولا يَنَازِع في خبثه إلاَّ مُعَانِدُ مكابر، فإنَّ خبثه واضحٌ في طَعْمِهِ الْمُرِّ ورائحته الكريهة التي تُؤْذِي الناس الذين لا يستعملونه، خصوصاً في مجامع العبادات كالصلوات وغيرها، فالخبث يُعَرَّفُ بآثاره وما يترتب عليه من مفساد، وقد جعلَ الله تعالى من صفات محمد صلى الله عليه وسلم أنَّه: **يَحِلُّ لِأُمَّتِهِ الطَّيِّبَاتِ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثِ**، فقال تعالى: **﴿وَيَحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثِ﴾** [الأعراف: ١٥٧]، ويصدق وصفُ الخبيث على كلِّ ما لا نفع فيه إطلاقاً، أو ما مَضَرَّتْه أكثر من نفعه، ولكن رائحته تغلب نفعه بإيذاء الناس في كل مكان، خصوصاً أماكن العبادة.

كونه مُخَدَّرًا ومُفْتَرًّا؛ أي: يُورِث الفتور والخدر في الأطراف، وهو مُفْتَرٌّ باتفاق الأطباء وكلامهم حُجَّةٌ، ثم هو قد يُسَكِّرُ أحياناً لبعض الناس، خصوصاً إذا فَقَدَهِ ثم شَرِبَهُ أو أَكثَرَ مِنْهُ، كما صرَّح بذلك غير واحدٍ من أهل العلم، وغيرهم ممن جرَّبه ثم تَرَكَه.

والمراد بالإسكار أيضاً مُجَرَّد تغطية العقل، وإن لم تكن معه الشدَّة المطربة، ولا ريب أنَّ ذلك يحصل لِمَنْ يَشْرِبُهُ، خصوصاً لأوَّل مرَّة، ولا يُماري في ذلك إلاَّ مُكابر للحسِّ والواقع، وقد صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عمر أنه قال: **«كُلُّ مُسَكَّرٍ خَمْرٌ حَرَامٌ»**، وفي رواية لمسلم: **«كُلُّ مُسَكَّرٍ حَرَامٌ»**، وفي رواية لأبي داود والترمذي عن عائشة مرفوعاً: **«كُلُّ مُسَكَّرٍ حَرَامٌ، وَمَا أَسَكَّرَ الْفَرْقُ مِنْهُ فَمِلْهُ الْكَفِّ مِنْهُ حَرَامٌ»**.

وروى الإمام أحمد وغيره عن أمِّ سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم: نَهَى عَنْ كُلِّ مُخَدَّرٍ وَمُفْتَرٍّ. كونه مضرّاً بالصحة من جهات مختلفة، ومن أخطر أسباب الهلاك، وقد ثبت ذلك بإخبار الأطباء المعتبرين كما سبق بيانه، وكلُّ ما كان كذلك يَحَرِّمُ استعماله اتِّفاقاً، وقد قال تعالى: **﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾** [البقرة: ١٩٥]، وقال سبحانه: **﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾** [النساء: ٢٩]، وقال سبحانه: **﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾** [النساء: ٩٣].

وأخبر صلى الله عليه وسلم: أَنَّ قَاتِلَ نَفْسِهِ يَكُونُ فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَمَتَنَاوِلُ الدُّخَانِ قَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلْقَتْلِ السَّرِيعِ أَوْ الْبَطِيءِ، وَسَبَّبَ لَهَا شَقَاءَ الدُّنْيَا وَعَذَابَ الْآخِرَةِ.

كونه مُسْرِفًا، فالنفقة فيه من الإسراف المذموم فاعله؛ إذ ليس فيه نفع مُباح خالٍ من الضرر؛ بل فيه الضرر المحقق بإخبار أهل الخبرة، وقد قال تعالى: **﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾**

[الأعراف: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُبْذَرِ تَبَذِيرًا ۖ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦-٢٧].

فكيف يرضى عاقل أن يعصي ربه، ويُفَرِّط في ماله، ويُطيع الشيطان عدوه فيما يضره، وقد صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان ينهى عن إضاعة المال، وأخبر عليه الصلاة والسلام أن مما يسأل الإنسان يوم القيامة عنه: «ماله: من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقَه؟»، والنصوص في النهي عن الإسراف في كل شيء أكثر من أن تُحصَر.

تعزير شارب الدُّخَان ومُرُوجِه

وحيث ثَبَتَ ضررُ الدُّخَانِ المحض من كلِّ وجه، وقطَعَ المحقِّقون من أهل العلم بتحريمه لأدلة كثيرة سَبَقَ ذِكْرُ طرفٍ منها، فقد ذكروا رحمهم الله أيضًا أَنَّهُ يَحْرُمُ الاتِّجارُ بالدُّخَانِ؛ بيعًا، وشراءً، وزِراعته، مُسْتَدْلِينَ بحديث: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا حَرَّمَ شَيْئًا، حَرَّمَ ثَمَنَهُ».

وأيضًا فَإِنَّ الذي يُرَوِّجُه إنما يُرَوِّجُ بضاعة ضارَّةً مُضِرَّةً، مفسدة للعقول والأديان، والأخلاق والمال، وثمنُها ينتفع به عدوُّ المسلمين المتربِّص؛ ولذلك نصُّوا على أَنَّهُ لَا بُدَّ من تأديبٍ رادعٍ لمتعاطي الدُّخَانِ؛ يقول الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب: والذي يزرع التنباك يُؤدَّب، ومَنْ يوجَد في بيته أو متاعه أو يشربه يؤدَّب؛ ا. هـ.

وقال الشيخ عبدالله أبا بطين: وأما شاربُ التنباك، فالذي نعتقد تحريمه وفيه التعزير، ولا يتبيَّن لي أَنَّهُ يبلغُ به حدُّ الخمر؛ ا. هـ.

وقال الشيخ حمد بن ناصر بن معمر: وأما شاربُ التنباك، فيُجلَدُ قدرَ أربعين؛ ا. هـ.

وقال الشيخ ابن سعدي: أمَّا الدُّخَانُ؛ شُرْبُه والاتِّجارُ به، والإعانة على ذلك، فهو حرام لا يحلُّ لمسلمٍ تعاطيه شُرْبًا، ولا استعمالًا واتِّجارًا، وعلى مَنْ كان يتعاطاه أن يتوبَ إلى الله توبةً نصوحًا، كما يجبُ عليه أن يتوبَ من جميع الذنوب؛ وذلك أَنَّهُ داخل في عموم النصوص الدالة على التحريم، داخل في لفظها العام وفي معناها؛ وذلك لمضارِّه الدينيَّة والبدنيَّة والماليَّة التي يكفي بعضها في الحُكم بتحريمه، فكيف إذا اجتمعت؟! ا. هـ.

نماذج من الجهود المبذولة

في محاربة التدخين

1- استناداً على فتوى العلماء المحققين من أهل العلم - ومن أئمة الدعوة في نجد وتلامذتهم - بِحُرْمَةِ الدُّخَانِ، وضرورة تعزيز متعاطيه؛ شرباً أو اتجاراً؛ لضرره على الدين والأخلاق، والصحة والمال.

وحدث أن أُحْرِقَتْ بضاعة الدُّخَانِ في قلب العاصمة الرياض في عهد الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله وكانت البضاعة تُصَادَر دائماً، والمروّج يُطارَد ويؤدَّب.

وليس ذلك بغريب على دولة التوحيد التي تنهج نهج محمد صلى الله عليه وسلم وتتبع سنته، وقد صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لَمَّا حُرِّمَتِ الخمر، أَمَرَ بِإِرَاقَتِهَا وَكَسَرَ جَرَارَهَا وَدِنَانَهَا، وَدِنَانُهَا، وَكَانَ بَعْضُ الْقُضَاةِ فِي الْبِلَادِ النَّجْدِيَّةِ يَجْلِدُ شَارِبَ الدُّخَانِ أَرْبَعِينَ جَلْدَةً، وَقَدْ يَرُدُّ شَهَادَتَهُ؛ لِأَنَّ شُرْبَ الدُّخَانِ مِنْ أَسْبَابِ الْفِسْقِ وَأَمَارَاتِهِ غَالِبًا.

2- وحدث قبل ذلك أن أصدر السلطان العثماني مراد الرابع مرسوماً حرّم فيه ممارسة التدخين تحريماً شرعياً مبنياً على نصوص الشريعة الإسلامية، وكان القضاة آنذاك يعزرون شاربه أشدّ التعزير، ويعاقبون متعاطيه أبلغ العقوبة.

3- وقد أخذ بهذا المنهج غير المسلمين من النصارى وغيرهم؛ لِمَا رَأَوْهُ فِي التدخين من الضرر العظيم على الإنسانية؛ فقد أمر قيصر روسيا ميخائيل رومانف في عَهْدِهِ بِجَلْدِ أَيِّ إِنْسَانٍ يَمَارِسُ مَادَّةَ التدخين، وصدرت الأوامر القيصرية بتحريم التدخين تحريماً قطعياً، وبإنزال أشدّ العقوبات بِمَنْ يَخَالِفُ ذَلِكَ.

4- وفي أوروبا - سابقاً - حرّم باباوات الكنيسة الكاثوليكية على أتباعهم ممارسة التدخين، بل أصدر بعضهم قرارات بابوية بمنع دخول المدخنين الكنائس، وجعلوا من الوصايا المهمة النهي عن التدخين.

5- وفي العصر الحديث قد تصدّى العديد من العلماء والأطباء الغربيين لمكافحة التدخين؛ بإظهار مضارّه وبيانها للناس، منهم: العالمان الإنكليزيان هيل - دول، والدكتور الأمريكي دورن الذي أجرى دراسات شاملة على مائتي ألف مدخن، والدكتور الأمريكي ألتون أو كسفر، الذي شغل مناصبَ عالية وهامة في عالم الطب، والدكتور أرنست وندر الأخصائي المختص في الجراحة الصدرية، وغير أولئك كثير.

6- وتألّفت جمعيات علمية عالمية تدرّس أضرار التدخين، وما يتركه من آثارٍ في جسم الإنسان، منها: الجمعية الأمريكية للسرطان، والجمعية الطبية الأمريكية، ومؤتمر الأبحاث الطبي البريطاني،

وقد أثبتت البحوث والدراسات العلمية كلها مضار التدخين المتعددة.

7- وتبذل العديد من الحكومات في دول مختلفة جهوداً ليست بالسهلة في مُحاربة عموم المخدرات، ومنها: التدخين، وأسست من أجل ذلك دوائر خاصة لهذا الغرض، لها نظامها وإمكانياتها، وكان لها أثرٌ بارزٌ، إلا أن كثيراً منها يفقد الجدّة والحماس أحياناً، كما أن سلوك بعض أفرادها المتناقض، مع ما أسست من أجله جعلها تسير بخطوات مُتعثرة، وتُخفق في بعض الأحيان، وأفقدتها تعاون الآخرين معها.

8- كما أن كثيراً من الدول تمنع الدعاية للتدخين منعاً باتاً، ومنعت التدخين في أماكن التجمعات العامة، مثل: المواصلات، وقاعات المحاضرات، والمسرح، كما تمنعه كثير من التنظيمات أثناء العمل، وتقوم بحملات إعلامية وتثقيفية واسعة الانتشار؛ للتحذير من مخاطره، أسهم في ذلك إسهاماً فعالاً الأطباء والعلماء والاقتصاديون وغيرهم، وينقل من التلفزيون في تلك البلاد برامج خاصة توضح مدى المخاطر التي تُصيب المدخنين، والأضرار التي تُصيب المجتمع.

9- وتطالب الهيئات الطبية بزيادة الضرائب على الدخان (التبغ) إلى درجة تُثقل كاهل المدخن، وتدفعه إلى الإقلاع عن التدخين.

إرشادات للمدخين

للإقلاع عن التدخين

أخي المسلم، لعلك قد أدركتَ ممَّا تقدَّم أضرارَ التدخين المختلفة، ومدى خطورته على حياة الشخص، وتبيَّن لك حُكْمُه الشرعي، والجهود المبذولة في محاربته، ووقاية الناس من شرِّه؛ فإنَّ كنتَ قد عُصِمْتَ منه، فاحمد الله واشكره على نِعَمه عليك باطنًا وظاهرًا، وعليك بنصيحة إخوانك المسلمين بتركه؛ فإنَّ ذلك من شُكْرِ النعمة، والتعاون على البر والتقوى، والتناهي عن الإثم والعدوان ومَعْصِيَةِ الرسول.

وإنَّ كنتَ ممن ابتلي به، فسارعْ إلى التخلُّص منه؛ خوفًا من العقوبة، وحمايةً لنفسك من أضراره وأخطاره، ورجوعًا إلى الحقِّ بعد ما تبَيَّن، وإليك بعضُ الإرشادات التي ستُعِينُك بحول الله وقوَّته على التخلُّص منه، وهي كما يلي:

- 1- اعزمْ على تركه لله تعالى واسأله سبحانه الإعانة والثَّبات؛ فإنَّ الإخلاص في التوبة يتحقق بثلاثة أمور: الإقلاع عن الذنب، والتَّدَمُّ على ما مَضَى منه، والعَزْمُ على ألاَّ تعودَ إليه.
- 2- حاول الابتعاد عن المدخِّنين وأجواء التدخين، واختلطْ بِمَنْ يُعِينُكَ على ترك ما يضرُّكَ.
- 3- اصرف النظرَ عن التفكير في العودة إليه، وعندما تحسُّ بالحنين إليه، تَذَكَّرْ مضارَّه، وتصبِّرْ عنه، واشغَلْ نفسك بشيء من الحلويات أو اللبان.
- 4- عوِّد نفسك على استعمال السواك؛ فإنه خيرٌ بديلٍ؛ لِمَا فيه من المنافع الدينيَّة والدينيَّة.
- 5- تناول يوميًّا بعد الفطور كأسًا من الليمون أو البرتقال؛ لأنَّه يُخَفِّف من شدَّة الرغبة في التدخين.
- 6- استشِرْ الأطباء المختصِّين في العقاقير المساعدة على التخلُّص من التدخين.

الخاتمة

فقد رأيتَ - أخي المسلم - أن الذي يدخن إنما يبدل ماله فيما يضره، ويجلب له الموت والداء العضال، وفي المقابل: فإنه ينفع عدوه من اليهود والنصارى؛ حيث إن معظم شركات الدخان وغيره من المخدرات هي ملك عائلات يهودية ونصرانية حاكمة، فتعاطي الدخان - شرباً أو ترويحاً أو دعاية - إنما هو في صالح أعداء الإسلام، وعلى حساب المسلمين.

ولا تنسَ أنك بتناولك الدخان، فأنتك إضافة إلى ضرر نفسك ونفع عدوك بالمال والدعاية، فإنك أيضاً تضر ناشئة المسلمين بالقدوة السيئة، خصوصاً إذا كنت مُدرِّباً أو مدرِّساً أو طبيباً، أو في أي عمل توجيهي، وهنا تُصبح وسيلة إعلام ودعاية لعدوك دون مقابل، اللهم إلا أن تحصل على الإثم العظيم الذي أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، فَعَلَيْهِ وَزُرُّهَا وَوَزُرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ».

فهل تَرْضَى أن تحملَ نفسك الكثيرَ من ذنوب غيرك إضافة إلى ذنوبك، وربما تكون داخلاً في مضمون الآية، وهي قوله سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ [القصص: ٤١].

نسأل الله العافية والسلامة.

وأسأل الله - جلَّتْ قُدْرَتُهُ - لي ولك ولكلِّ مسلمٍ مزيدَ الهداية، والوقاية من الفتن، وأسباب الغواية، والثبات على الدين.

وصلى الله على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

عبدالله صالح القصير

عضو الدعوة الإسلامية

المحتويات

3	المقدمة
4	مادة الدخان
5	تاريخ معرفة نبات الدخان
5	ومن وراء ترويجه
6	أضرار التدخين الصحية
7	التدخين وأمراض الرئة
8	التدخين وأمراض القلب
9	التدخين وأمراض الفم
10	أضرار صحية أخرى للدخان
11	أضرار التدخين النفسية والعقلية
12	أضرار التدخين من الناحية الاجتماعية
13	أضرار التدخين الاقتصادية
14	أضرار التدخين الخلقية
15	حكم شرب الدُّخَان
17	علة تحريم الدُّخَان والأدلة عليه
19	تعزير شارب الدُّخَان ومُروِّجه
20	نماذج من الجهود المبذولة
20	في محاربة التدخين
22	إرشادات للمدخنين
22	للإقلاع عن التدخين
23	الخاتمة